*** تراث الرواية العربية ***

-٤-

عذراء الحلمية

محمد يونس القاضي

إعداد وتقديم : سلوى بكر

المجلس الأعلى للثقافة

إهـــــــداء٢٠٠٩
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

المجلس الأعلى للثقافة

*** تراث الرواية العربية ***
(٤)

عذراء الحمية

غرامية أدبية تاريخية عصرية واقعية
ذات فصول عشرة

تأليف : الشيخ محمد يونس القاضى

إعداد وتقديم : سلوى بكر

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

القاضي، محمد يونس

عذراء الحلمية : رواية غرامية أدبية تاريخية عصرية واقعية ذات فصول عشرة، تأليف : محمد يونس القاضي ،

إعداد وتقديم : سلوى بكر

ط ١ - القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٨

١٠٨ ص ، ٢٠ سم

١ - القصص العربية

أ - العنوان ٨١٣

رقم الإيداع ٢٠٠٨/١٧٣١٢

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977- 437-871-7

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤

El- Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.

Tel. : 7352396 **Fax :** 7358084

الفهرس

عذراء الحلمية

هـذه الـرواية وصـاحـبـهـا

سلوى بكر

ربما كان الشيخ محمد يونس القاضى واحداً من أصحاب المواهب الفذة فى تاريخ مصر الإبداعى، فالرجل المولود بحارة درب الدليل بحى الدرب الأحمر بالقاهرة فى ١ يوليو سنة ١٨٨٨ ، كان زجّالاً وشاعراً وكاتبًا مسرحيًا، كما كتب للسينما نحو ستة وعشرين فيلمًا قام بإخراجها بدر وإبراهيم لاما - وهما فلسطينيان، كانا من رواد ومؤسسى السينما المصرية فى النصف الأول من القرن الماضى - قبل أن يهاجر إلى أمريكا اللاتينية.

وموهبة ذلك الأزهرى القادم من بلدة النخيلة الصعيدية، ربما لم تتكرر إلا فى حالة الفذ - أيضًا - الشاعر صلاح چاهين، فالرجلان لا يتشابهان فقط فى تنوع منتجهما الإبداعى، ولكن اقترابهما من حيث الموهبة يتضح أيضًا فى مقدرتهما الخاصة على تحويل الشعارات السياسية إلى أغنيات تُتداول على ألسنة الناس، فچاهين الذى حول عبارات من خطب عبد الناصر إلى كلمات تُغَنَّى، كان يونس القاضى قد

سبقه فى ذلك قبل ذلك بعشرات السنين عندما جعل كلمات الزعيم الوطنى مصطفى كامل :

بلادى .. بلادى

لك حبى وفؤادى

لك دمى ونفسى

لك عقلى ولسانى ، إلخ .

... مطلعًا لنشيد بلادى .. بلادى، الذى ظلت مصر تغنيه منذ ذاك الحين وحتى الآن، واعتُمد لحنه الذى وضعه العظيم سيد درويش سلامًا وطنيًا للدولة المصرية.

وقد عُنيت الباحثة إيمان مهران بوضع كتاب رائد حوى كل ما يتعلق بحياة الشيخ يونس القاضى وإنجازاته الفنية وهو عمل ثبتى بالغ الأهمية يكشف عما خفى فى التاريخ الفنى والشخصىِّ لهذا الرجل والذى تزامن مع فترة حرجة من فترات تاريخنا القومى وهى زمن مناهضة الاحتلال الإنجليزى، فتاريخ الرجل يستبين وجهه النضالى من خلال ذلك الكم الهائل من الأشعار والأزجال والأغنيات التى حَضَّتْ على مقاومة المستعمر، خصوصًا بعد أن اتصل بالزعيم الوطنى مصطفى كامل وعمل فى جريدة حزبه *اللواء*، وقد اعتقل الشيخ يونس تسع عشرة

مرة بسبب كتاباته الشعرية والزجلية التى كانت سرعان ما تنتشر على ألسنة الناس خصوصاً بعد أن لحنها العظيم سيد درويش وغنتها مطربة العصر منيرة المهدية ومشاهير المطربين الآخرين .

ومن المذهل أن يكون الرجل كاتبًا روائيًا، إضافة إلى كل ما يملكه من مواهب وطاقات سبق الإشارة إليها آنفًا، فالرواية فى زمن يونس القاضى لم تكن جنسًا أدبيًا شائعًا، وكانت محاولات كتابتها جنينية لم تنضج بعد، وكان القائمون بها يتحرجون أحيانًا من وضع أسمائهم الحقيقية عليها، ولكن ذلك الرجل والذى يعد نموذجًا متجسداً للمثقف العضوى، الذى أشار إليه المفكر اليسارى الإيطالى جرامشى، غامر بكتابة الرواية بواقعية تتسق وهواجسه الوطنية والاجتماعية، وتمخضت مغامرته هذه عن رواية "عذراء الحلمية"، وهى رواية لم تحفظها الثبوت والببليوجرافيات الروائية الصادرة سواء فى القرن الماضى أو الحالى، لسبب غير مفهوم، اللهم إلا أن شهرة الرجل كمؤلف أغانى ومسرحى وزجال جعلت الباحثين لا ينتبهون إليه كروائى رائد، وقد عثر الأستاذ الشاعر شعبان يوسف بالمصادفة على رواية عذراء الحلمية وأهداها إلىّ وهو بصدد احتفائه بالشيخ يونس القاضى فى ورشة الزيتون الإبداعية التى يشرف عليها، فقمت بتقديمها لأول مرة للجمهور خلال ذلك الاحتفاء .

دلالات عذراء الحلمية :

ولقد نشر الشيخ محمد يونس القاضى روايته فى العام ١٩١٢، وفقًا لما أوردته الباحثة إيمان مهران فى كتابها عنه، وذلك نقلاً عن جريدة الأهرام فى بابها « حدث من خمسين سنة » فى ١٩٦٢/٤/٢٠، وفى ذلك العام الذى يمكن اعتماده بناءً على ما سبق تاريخًا لصدور الرواية (١٩١٢)، كان محمد لطفى جمعة قد نشر روايته الثانية "ليالى الروح الحائر"، ووليام كاتفليس رواية رواية "شقاء التاج"، ومحمد عزة دروزة « وفود النعمان على كسرى أنو شروان »، وكذلك فيليب داود فرحات « شهيدة شهر العسل » ، وعطية شمس « الروايات الشمسية »، وعقيل أبو الشعر « الفتاة الأرمنية فى قصر يلدز »، كما نشر آخرون بعض الأعمال الروائية المعبرة عن اهتمام لافت بفن الرواية وفقًا لببليوجرافيا د. محمد سيد عبد التواب .

وكان الربع الأخير من القرن التاسع عشر قد شهد كمّا من الروايات التى تراوحت بين استلهام فنون السرد العربى القديم ومحاكاة الرواية الأوروبية فى صيغتها الأوروبية آنذاك .

وقد وصف مؤلف الرواية الشيخ يونس روايته بأنها غرامية أدبية تاريخية عصرية واقعية وتقع فى فصول عشرة، والحقيقة أن هذه الرواية لا علاقة لها بالتاريخ، وتتبدى قيمتها باعتبارها من بواكير الإبداع الأدبى الروائى الذى يمكن من خلاله رصد جملة من الالتباسات

المتعلقة بمفهوم الرواية وخطاباتها، وطرف من المنظومة القيمية السائدة في ذاك العصر الذي كُتبت فيه، فالرواية تعتمد على الحوارات المطوَّلة، والمواقف الانقلابية المفاجئة، لأحداثها الواهية القائمة على جملة من المصادفات، وهي تعتمد بنية سردية أقرب إلى الكتابة المسرحية منها إلى السرد الروائي، ولا تخلو من صيغ الفودفيل الفرنسي القائم على الثالوث المقدس : زوجين وعشيقة أو العكس، وهي صيغ شاعت في المسرح التجاري المصري منذ أوائل القرن الماضي وحتى ما بعد الحرب العالمية الثانية، وهذا المنحى المسرحي قد يفسِّر بأن كاتبها هو من أوائل الذين كتبوا المسرح الغنائي في مصر، ففصول الرواية تتضمن بين ثناياها كل حين وحين جملة من الأبيات الشعرية ذات الصبغة الغنائية من نوع :

ومن عجب أن الفتاة جميلةٌ

وأن الفتى في العاشقين جميلُ

أتاها بقرط خلفته بحسرة

وكل فتى يأبى المزاح نبيل

إذا المرء لم يغلب هواه أقامه

بمنزلة فيها العزيز ذليل

وجميل وجميلة اسمان لبطلَيْ رواية "عذراء الحلمية" وهما يلتقيان مصادفة في باب الخلق « حيث تجمهر الناس وقاطرات الترام مصطفات، وجميلة تمسك بتلابيب كمسارى أول قاطرة من الترام معطلة عن المسير »، وهذه الأحداث يؤرخ لها المؤلف بصباح الخميس ١٨ أكتوبر سنة ١٨٩٦، وعلى ظن منه بأن هذا التاريخ المحدد يمنح عمله تاريخانية روائية، فالرواية لا تنتمى بأى حال من الأحوال إلى نوع الرواية التاريخية، إلا أن هذا لا ينفى عنها الصبغة الواقعية، فالكاتب يصف الأماكن ويسميها باسمها كما كانت في زمنه، وبعض أسمائها قائم حتى اليوم، مثل باب الخلق والذى هو بالأصل باب الخرق وفقًا لخطط على مبارك، ويشير إلى وجود خط للترام كان يسير في منطقة باب الخلق الواقعة أمام دار الكتبخانة القديمة، والتى كانت قبلاً فى درب سعادة، كما يبين أن بطل الرواية جميل يقطن فى شارع الماوردى على وجه التحديد.

ورغم أن أحداث الرواية واهية ومنطقها ضعيف، فإنها تأتى بجملة من العلاقات الإنسانية والاجتماعية الدالة والمعبرة عن زمن تأليفها، كما تبرز جانبًا من الروح السياسية التى سادت مصر بعد نحو ثلاثة عقود من الاحتلال الإنجليزى لها.

فالبطلة سُرق منها قرط ماسىّ ثمنه نحو الثلاثين جنيهًا، والسارق هو كمسارى الترام، والفتى جميل بطل الرواية هبَّ لنجدة الفتاة التى كانت تستغيث، لا لشىء إلا لأنها " أختـه فى الوطنية "،

وتكون هذه الحادثة بداية الغرام بين جميل وجميلة، وسرعان ما تفصح فصول الرواية عن عقبات تواجه هذه العاطفة الوليدة، فجميلة على وشك الزفاف، وجميل إنما هو رجل متزوج، وتقوم زكية الصديقة الصدوق لجميلة بتذليل العقبات بين المحبَّيْن عن طريق إفساد زيجة جميلة المرتقبة من المدعو محمد عبده، فهى تجعله يقع فى غرامها إلى الحد الذى يلتقيان فيه بالقناطر الخيرية مع العشاق خلال ذلك العصر، وكل العصور التى تلت هذا حتى وقت قريب، ولكن زكية ومحمد عبده يركبان القطار، هى فى عربة النساء، وهو فى عربة الرجال، حيث كان من الممنوع اختلاط النساء بالرجال فى القطار على ما يبدو، وعندما يتلاقيان فى القناطر حيث تعمل زكية على إفساد ما بين محمد عبده وجميلة وجَعْله يهيم بها بدلاً من تلك الخطيبة العاشقة، تكون الرواية قد بلغت ذروة تشويقها وتعقدها على الأقل بالنسبة إلى قارئها خلال ذاك العصر.

ورغم أن السرد يتخالط فيه ما هو مسرحى مع ما هو شعرى، فإن لفن المقامة نصيبًا فيه أيضًا، فالخلوص إلى موعظة وآية، والإشارات التربوية التهذيبية والتى تتناثر عبر فصول الرواية، تحل محل الخطاب الروائى المتعارف عليه الآن، وثمة عبارات تفيد هذا المعنى من نوع: « لا ينسَ القارئ وعد زكية مع محمد عبده، إذ فى هذا اليوم يحظى ذلك الأبله بمن سحرته بزخرف قولها واستمالت قلبه بوساوسها الشيطانية، إلخ ».

ورغم ذلك فالرواية لا تخلو من سرد روائى وطرائق تعبيرية سادت الرواية حتى زمن ما بعد نجيب محفوظ، فهو يصف عى سبيل المثال لقاء محمد عبده وزكية التى لعبت معه دور الحبيبة المزعومة والتى سوف يستبدلها بجميلة فيكتب « وما هى إلا هنيهة، عدم فيها صبره، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، حتى كانت أمامه فى عربة، ونظرت إليه مشيرة فتبعها، وعدا عدو الذئب وراء الشاة، حتى انزوت فى مكان تأمن فيه المنتقد، إلخ ».

ألا يتشابه هذا مع بعض مشاهد نجيب محفوظ فى «بداية ونهاية»، عندما كانت تخرج نفيسة من البيت لبعض من نزواتها، وعندما كان يطالبها شريكها بعد أن ينتهى معها بـ « ثمرة أخرى »؟.

ولو أراد بعض محبى الحداثة البحث فى النص الروائى عبر النوعى، وتداخل الأجناس الأدبية، لوجدوا ضالتهم فى نص محمد يونس القاضى « عذراء الحلمية »، فهو سرد أدبى تتخالط فيه جملة من الأنواع لتنتج جملة من الدلالات على ضوء من قراءة متفهمة لوضع البدايات الروائية فى عصر مضى، فمصر التى كانت تختمر بها ثورة ضد الاحتلال الإنجليزى، كانت تفرز جملة من القيم والمفاهيم الاجتماعية الجديدة أيضاً، تبنتها النخبة الاجتماعية والسياسية والثقافية، والتى كان محمد يونس القاضى واحداً من أبنائها، وليس مصادفة أن تكون جميلة فتاة من الحلمية، فقد كانت الحلمية آنذاك تضم كريمة الكعكة القاهرية آنذاك، ويبدو لأفكار رفاعة رافع الطهطاوى

وقاسم أمين تأثير على محمد يونس القاضى، فهى تلقى بظلالها على الرواية ، فزوجة البطل جميل تعلن أنها لن تطلقه لأن العصمة بيدها، والنساء فى الرواية يبدون قويات قادرات على الصراع والمواجهة، بل يعملن على توجيه مصائرهن بأنفسهن، فهن يخرجن ويسافرن ويذهبن إلى حيث يرغبن.

إن قراءة رواية عذراء الحلمية قد تنبه إلى ضرورة مراجعة تراثنا الأدبى فى جانبه الإبداعى، ضمن جملة من السياقات الاجتماعية والثقافية التى سادت عصره.

الفصل الأول

فى صباح الخميس ١٨ أكتوبر سنة ١٨٩٦ خرج شاب من منزله فصادفه ساعى البريد وأعطاه خطاباً فض غلافه فرأى به:

سيدى

اليوم أرسلت لكم مبلغ الخميس جنيهًا باقى الإيجار وأتعشم فى أن تكون بصحة وعافية والسلام،

خادمكم

سلامة

علم من فحوى المكتوب أن المؤاجر أرسل له ما كان باقيًا عنده فشكره على حسن إخلاصه .

ذهب من حينه إلى البريد واستلم المبلغ وعاد راكبًا عربة .

وحينما وصل باب الخلق رأى قومًا متجمهرين وقاطرات الترام مصطفات فهرول نحوهم فرأى من بينهم فتاة قابضة تلابيب كمسارى أول قاطرة من الترام معطلة عن المسير .

شاهد تلك الفتاة تستصرخ بمن ينجدها من مصيبة لحقتها والناس شاخصة أبصارهم لا يتقدمون إليها. هاله هذا المنظر المريع ورأى من طيب عنصره ما دفعه إلى إجابة دعوتها، وأخذ يزحزح هذا ويطرد ذاك حتى اقترب منها وسألها قائلاً :

– ما شأنك مع هذا؟

– لقد جنى جناية فظيعة!

– ماذا جنى؟

– لقد سرق منى قرطًا.

– من أى صنف؟

– من الماس.

– كم يساوى؟

– ثلاثين جنيهاً.

– وكيف أخذه؟

– حينما أعطانى التذكرة كان القرط فى يدى اليمنى فوضعته بجوارى حتى أستخرج من جعبتى ثمن التذكرة، وبعد ذهابه فتشت عن القرط فلم أجده .

– ربما كانت معك فتاة أخرى فسرقته منك.

- لم يكن معى أحد .

فالتفت إلى الكمسارى وقال:

يا هذا، إنك سمعت دعوى السيدة فيجب عليك أن تنقض كلامها إن كنت بريئًا أو تعطيها ما أخذت منها إن كنت ذا إجرام.

- أن هذه السيدة مخرفة ؛ من أين جاءها أنى سارق وأنا أمين المصلحة؟

- لقد زادت بك القحة إلى هذا الحد؛ فتاة تلوح على هيأتها علامات العظمة والأبهة وتصمها بالتخريف ! إنك لسافل منحط!

- لا بد من حفظ حقى ضدك. كيف تجرؤ عليَّ وتسبنى وأنت غريب؟ من الذى دعاك لفضِّ المشكل ؟

- إذا كان الأمر كما ذكرت فهذه الفتاة أختى فى الوطنية ولا بد من أن أقوم مقامها حتى أرد إليها ما سلبته منها .

- إن كانت لديك وسعة فافعل ما تشاء.

- الوسعة فى يد الحكومة وسترى عاقبه وبال أمرك.

وفى هذه اللحظة حضر جندى الدورية فأمره ذلك الفتى بأنه يأخذ ذلك اللص إلى القسم .

ما سمعت تلك الفتاة لفظة القسم حتى ترنحت أعصابها وخافت

من وصولها القسم أن يصل الخبر إلى أبيها فأرادت العدول عن ذلك وفضلت ضياع القرط عن أن تذهب بنفسها إلى القسم فتباعدت عنهم قليلاً .

حينما شاهد عليها الفتى علامات التقهقر نادى حوذيه الذى كان راكبًا معه وحبب إليها الذهاب فلم تأبَ وركب الجميع .

فى أثناء الطريق أخذ ينذر الكمسارى بسوء العاقبة ويتوعده بالعذاب الأليم وذكَّره بآلام السجن وكبَّر له الجريمة.

وللنفس أخلاق تدل على الفتى

أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

وبعد أخذ وردٍّ وضع الكمسارى يده فى جيبه وأخرج القرط وسلمه للفتاة وطلب الصفح إن كان هناك غفران والعقاب إن ذهبت الرحمة.

لما وصل القرط إلى الفتاة لم تشأ الذهاب إلى القسم وصفحت عن الجانى وصفح الشاب وصرفوا الجندى مجبور الخاطر .

عاد الفتى والفتاة فى العربة فابتدرها قائلاً :

– لى الشرف الأسْمَى بأن أقوم بخدمة فتاة مهذبة مثلك .

– أشكرك بكل جوارحى وإنى مقرة لك بالفضل على كل إنسان، فإن كثيرين غيرك كانوا وقوفًا وما رأيت من ساعدنى فلا عدمَتْك المروءة.

- إن هذا بعض ما يجب على.

- عفوًا يا سيدى الفاضل.

- وإنى أحمد الله الذى قدرنى على رد القرط إليك فإنك وحدك من العسير عليك أن تقوى على مثله .

- فتبسمت ضاحكة من قوله وحولت إليه نظرها قليلاً فوقع فى قلبه أول سهم رماه حاجبها فتلطف معها قائلاً:

- أتسمح لى أختى بأن أتحدث معها قليلاً .

- بكل سرور .

- لى الشرف بأن أدعوك بأختى .

- وأنا شاكرة لك حسن ذوقك .

- إن هذه الخدمة التى قدمتها لك ستذكرنى فى حياتى القادمة بشريف خاطرك، ولكن يسوؤنى جداً أن ينقضى زمن مقابلتنا هذه وننصرف ولا أعرف لك اسماً .

- إن هذا ما يدور فى خلدى. وغاية ما أروم هو أن أعرف اسم من خدمني وأنزلنى منزلة أخته .

- أنا أخوك المخلص جميل .

- وأنا أختك المخلصة جميلة .

- الله ! ما أحسنها صدفة! توافق الاسمان واتحد القلبان.

فشخصت إليه مستنكفة من جملته المتقدمة وقالت :

- أمَّا توافق الاسمين فصحيح، وما معنى اتحد القلبان؟

- شيء لا يحتاج إلى إيضاح .

- عجباً!

- لا عجب فإني أتشرف أيضا بأن أعبر لك عن طيب خاطر بأني أصبحت أسير لطفك، فقد جرحت قلبى بسهام لحاظك .

- ويلاه! ماذا أسمع؟!

- تسمعين شكوى من أوقعه سوء الطالع فى حبائلك فلا تشفقين عليه .

- أوقعه سوء الطالع فى حبائلى !!

- وها أنا الآن علمت أن بلائى حم وشقائى الأبدى وافانى.

- كيف ذلك؟

- لأنك تنكرين علىّ اتحاد القلبين مع أنك صيرتنى هدفًا لسهام الأسى والأحزان .

فهزت رأسها استخفافًا به وقالت:

– لم أفهم ما تقول .

– آه يا عزيزتى .

إن لله فى العبـــاد منـــايا   سلطتها على القلوب العيون

– على رسلك يا هذا، ما معنى هذه الجمل الغريبة؟

– معناها أنى هائم بحسنك مغرم بجمالك.

– أنى متعجبة من تغيير أفكارك.

– لم؟

– لأنك كنت أخى كما تدعي، فما لك أصبحت شيطانا تغوينى على الفساد؟

– أى فساد يا عزيزتى؟ الحب أجمل حلية للشبان .

– اسمح لى بالذهاب .

– كأنك لا ترضيننى محبًا .

– إن تربيتى لا تسمح لى بذلك .

– ولكن أتسـمح لك تربيـتك بأن أمـوت أسـفًـا وأقـضى الحـيـاة متحسرًا؟

- على أى شىء تأسف؟

- على ضياع عقلى ورشدى .

- دعك من ذكر هذا الهراء.

- ألا تسمحين لى بأن أراك مرة أخرى؟

- لا أقدر أن أقابلك .

- كيف ذلك؟

- لأنى لا أخرج إلا إذا سنحت لى الفرص .

- وهل تجدين فرصة أجمل من وجودى معك؟

- وجودى معك؟

- نعم .

- متى عرفتك يا هذا؟ كأنك قدمت خدمتك قرباناً لمآربك الشيطانية. فلا كانت ولا كان القرط .

- مهلاً مهلاً .

- إن من الهين عندى أن أُسلب قرطى وأفقد حياتى ولا أسلب قطرة من دم الشرف .

- ألم تعلمى أنى أخوك؟

– بئست هذه الأخوة .

ثم اشتاطت غضباً وأوقفت السائق وهمت لتنزل فقال:

– ألا يرق لى قلبك القاسى؟

– لا تذكر هذه الكلمات فإنها لا تجر عليك غير الوبال. إن الكمسارى وإن كان لصًا عفوت عنه لصغر جرمه، ولكن إن لم ترجع عن أفكارك هذه أعدّك لصًا من لصوص الأعراض وأقدمك للبوليس فتلقى جزاءك.

– اسمعى ...

– حذار من أن أسمع منك غير ما سمعته.

ثم تركته وذهبت وتركت فى القلب نارا تذكيها تحسراته وود لو يفتدى بروحه كلمة تخرج من فيها ولو بهتانًا تريح قلبه بأنها ستراه .

ومن عجب أن الفتاة جميلة	وأن الفتى فى العاشقين جميل
أتاها بقرط خلفته بحسرة	وكل فتى يأبى المزاح نبيل
إذا المرء لم يغلب هواه أقامه	بمنزلة فيها العزيز ذليل

الفصل الثانى

ذهبت جميلة إلى دارها بجسم غير حساس متحرك بالإرادة وقد رأت أن تلك الإهانة التى لحقتها من ذلك الشاب لا يهوّنها عليها إلا إذا كالت له بكيله .

أخذت تلوم نفسها على تركها إياه وودت لو سلمته للبوليس فيلاقى من العقاب ما يكون عبرة لغيره وتحسرت على عدم معرفتها له مستقرًا حتى يسهل لها تدبير مصيبة له، وقد عزمت على الخروج غداً لتفتش عليه فتذيقه كأس الذلة والهوان.

وصل جميل داره وأخذ يفكر فى ما جنت يداه .

ود لو يعرف لها منزلاً فيبعث لها رسولاً يستعطفها فتغفر له تلك الإساءة .

قضيا تلك الليلة وهما مختلفا التفكر هذا يبحث فى حيلة ترضيها وتلك تبحث فى تدبير مكيدة .

فى الصباح قصد جميل نادياً كان ترام الأمس واقفًا أمامه .

وحين جلس رأى عصا بيد ذهبية على المنضدة التى جلس عليها فنادى خادم النادى وسأله عن صاحبها فأجابه بأنه لا يتذكر أن الجالس قبله كانت معه عصا .

خاف من أنه إذا تركها مع الخادم قد لا تصل إلى صاحبها فقصد القسم ليسلمها له وهو يتصرف فيها حسبما يقتضى القانون.

فى أثناء ذهابه قابله رجل من البوليس السرى وآخر أفندى فقبض عليه البوليس لأن الذى معه هو صاحب العصا وكان فى القسم وبلغ عنها أنها سُرقت واتهمه بسرقتها فسيق إلى القسم جانيًا لا راشداً .

أبى الله أن يلقى الرشاد متيم ألا كل أمـــــر حُمَّ لا بد واقع

فى صباح ذلك اليوم خرجت جميلة تفتش عن غريمها وبينما هى تسير إذ لاحت منها لفتة إلى شاب يماثل جميلاً تمام المماثلة حتى إنها لم تشكّ فى أنه ضالتها المنشودة .

شخصت إليه فاستوقفته تلك النظرة واقترب منها عادة الشبان وسنّة المغازلين .

ومن تعرَّض للغربان يزجرها على سلامتـه لا بد مـشـؤوم

وأخذ يلين لها جنب النفاق. فنهرته وزجرته وعلا الضجيج بينهما فنادت الجندى وساقه إلى القسم بدعوى أنه غازلها .

سارت معه بقلب منشرح لأنها معتقدة أن هذا الشاب هو جميل الذى أهانها بالأمس، وسجنه أشد عقاب له .

حينما دخلت القسم كان جميل أمام الضابط يحقق معه بشأن التهمة التى وجهت إليه وضبطه متلبسًا بالجناية بشهادة البوليس السرى.

ولكن من حسن حظ الفتى الذى عاكسها فى الطريق أنه واسى الجندى كثيراً .

حينما دخل الجندى على الضابط سأله عن سبب قدومه فأخبره بأن فتاة سبّت شابًا سبًا علنيًا بلا داعٍ فأمره بإحضارهما بعد أن طرح قضية جميل ودوّن ما أجاب به العسكرى.

دخلت جميلة وفتاها فرأت فتى الأمس أمام الضابط فعضّت بنان الأسف وعزمت على صرف المسألة بتنازلها عن دعواها وهى لم تعلم ما دبره لها خصمها مع العسكرى .

ذهب الجندى إلى سبيله وابتدأ الضابط يحقق معها، وحينما شاهدها جميل تعجب من وصولها القسم متهمة بعد أن أبت الدخول فيه صاحبة حق!!!

سألها الضابط:

– لم أهنت هذا الشاب؟

- جنى ذنبًا يؤدى إلى إهانته . ولكن سامحته.

- سامحته! عجبًا! أنت متهَمَة. ألم تهينيه؟

- بلى أهنته .

- كفانى إقرارك. ولم ذلك؟

- لأنه غازلنى وهذا يعاقب عليه قانونًا .

- أعندك شهود بأنه غازلك.

- إن الطريق عمومية والناس فيها مختلفون ولا أعرف من بينهم أحدًا حتى أدلك على اسمه .

- ولكن دعواه أنك أهنته بلا سبب.

- ولكن هذا لا يعقل يا سيدى.

- كيف وأدلته متوفرة؟

- أعنده شهود .

- طبعًا.

- ربما استأجر من عاونه على نجاح مكيدته .

- كلا بل الجندى شهد بما أسمعتك إياه، وبشهادته أكتفى إن لم يكن لديك شهود نفى .

فامتقع لونها وعلمت أن لا مناص لها من سقوطها في هوة كانت بعيدة عنها . ووقفت باهتة لا تنطق حائرة لا ترى سبيلاً تسلكه غير أن تحول نظرها قليلاً إلى جميل عساها أن ترى من طيب عنصره ما يضمن لها الخلاص .

حولت إليه نظر المستغيث فلم يجد لديه صبراً غير أن يتقدم إلى الضابط ويقول :

– إني شاهدت ما جرى بين هذين الخصمين .

– هل تعرفهما من قبل .

– لا .

– وما الذى يدعوك للشهادة .

– نصرة الحق .

– دعك فى تهمتك .

– وماذا عليّ لو شهدت فابرئ غيرى ما دام بريئًا؟

– إذن ما قولك؟

– بينما كنت أحمل العصا وأقصد القسم لأسلمها له إذ وقع نظرى على فتاة تنهر فتى .

– تقدمتَ شاهد نفى فكنتَ شاهد إثبات .

- مهلاً .

- قل (واخلص).

- فدنوت أنظر الخبر فعلمت من كلامها وإجابة أحد الواقفين أن الشاب تحكك بها وحينئذ جاء الجندى .

- عظيم .

- وخوفًا من ضياع فرصتى بادرت بالذهاب إلى القسم فصادفنى البوليس السرى وكان ما كان.

وهذا هو الشاب الذى أقصده والفتاة التى أعنيها .

فالتفت إلى الفتاة وقال:

- ما قولك فى قول هذا الشاهد .

- إن الحق يا مولاى لا يعدم نصيراً، وقد قيَّض الله لى هذا الشاب لتثبت براءتى على يديه .

وكل الحادثات وإن تناهت فمقرون بها الفرج القريبُ

- أتعرفينه من قبل؟

- ما عرفته إلا الساعة ...

- أرسل الضابط فى طلب الجندى، وبعد حضوره تلون فى شهادته فحوَّله والشاب المظلوم على المحاكمة .

ثم أتمَّ محضر جميل واستشهد بخادم النادى فاستدعاه وشهد بما رآه صباحًا فثبتت براءته وخرج وخرجت معه وهما مسروران وقد تحولت أفكارها الأولى وركبا عربة ودار بينهما هذا الحديث:

– كيف وقعت أيتها الأخت مع هذا الشاب؟

– لو عرفت السبب لبطل منك العجب .

– أريد أن أعرفه .

– وما الفائدة مع معرفتك إياه؟

– أقف على المهم من هذه الحادثة فقد آلمتنى كثيراً .

– نعم إنها مؤلمة . ولكنك أزلت عنى ألمها فأنت شفائى.

– عفواً يا عزيزتى أنا ما فعلت إلا بعض ما يجب علىَّ نحوك.

– الحمد لله الذى صرف المسألة بسلام .

– نعم إنى أشكر الله على نعمائه وأحمد الزمن الذى أوقعنى فى مصيبتى لأخلصك من تلك الطامَّة الكبرى .

– أشكرك .

– أتسمح لى أختى العزيزة بأن أعاتبها قليلاً ؟

– عَلاَمَ تعاتبنى ؟

- على ما صدر منك البارحة حيث قمت بواجبك.

وأدنيتني حتى إذا ما استبيتني

بقول يُحِلُّ العصم سهل الأباطح

تولَّيت عني حين لا لِي مذهبٌ

وغادرت ما غادرت بين الجوانح

- إني وان كنت أتيت أمراً يعاقب عليه قانون الإخلاص فودادك يا عزيزي شفيع المذنب ومجير المسيء.

- أنا ما أردت بمقدمتي هذه إلا أن أقف على ما يطويه قلبك الرقيق وفؤادك الطاهر .

- إن قلبي طوع إرادتك ومن الآن أصرح لك بأني أختك التي تفديك بحيلتها والتي ترجو من ربها أن يعينها على مكافأتك .

- يا سيدتي أنا لا أستحق كل هذا الإطراء.

فأطرقت برأسها قليلا وقالت:

- كيف لا يا عزيزي وان لم يكن الدهر ساعدني بوجودك في القسم لأصبحت التهمة ثابتة عليّ ويعلم الله نتيجتها السيئة عند أسرتي . خصوصًا وليلة زفافي حان حينها حيث أكون عروسًا تجلى مساء الخميس المقبل .

فالتفت إليها بوجه ممتقع وعين غير ثابتة وقال:

- ماذا تقولين؟! زفافك مساء الخميس .. !! !؟

- نعم .

- وكيف أصنع بعد؟

- أى شىء تريد صنعه؟

- أريد مقابلتك المستديمة .

- ما فائدة المقابلة؟

- تريح قلبى من عنائه .

- إن راحة القلب لا تتوقف على المقابلة، وكم رؤية أعقبتها ندامة، وما أمس البارحة ببعيد. إنما أعلمك أن خيالك منطبع فى صحيفة فكرى وشخصك أمام عينى ما دمت فى عالم الحياة أرزق .

- هذا ما كنت أرجوه . ولكن هل لا تجودين علىّ بمكاتبات توصل حلقات التعارف ببعضها .

- إذا سمحت يا مولاى بعنوانك فمكاتبتى لا تنقطع عنك .

- نعْمت الحال حالى . وأنى سعيد بأن أقدم لك هذا الكرت .

جميل سرى

Gamil Serri

شارع المابردى مصر

أخذت الكرت وقرأته ووضعته في جعبتها فسألها:

- وإذا حضر لي مكتوبك ألا يليق بي أن أجيب عليه ؟

- هذا واجب عليك، لأني أريد أن أقف على تمام صحتك .

- وفي أي جهة أرسل المكتوب ؟

فكرت قليلاً وقالت:

- إني لا أعرف لي عنوانًا، لأني لم أكاتب أحد قبل اليوم، وإذا أرسلته على المنزل أخشى أن يطّلع عليه أحد فيساء بي الظن .

- وما العمل؟

- لا أدري .

- أستعير لك اسم سيدة وأكاتبك به .

- لم؟

- لنأمن اطّلاع أحد عليه .

خافت من أن يكون هذا دهاء منه ليعلم المنزل وربما يتردد على الأبواب من غير حاجة فيُتهم منزلهم وساكنوه.

وخوفًا من تكدير خاطره لم تُظْهر استياءها إلا أنها تلطفت وقالت:

- إني قبل أن ينتهي الأسبوع سأحل دارًا أخرى، وما فائدة العنوان في ستة أيام ؟

– وما الفائدة من قراءة رسالاتك وعدم الرد عليها؟

– فكر فى أى عنوان شئت .

– لا يمكننى أن أعرف لك عنوانًا ما دمت أنت تجهلينه.

– ألم تراسل أحداً قبلى .

فبهت قليلاً وقال:

– لقد كانت لى صديقة آخيتها كما آخيتك ولكن رسالاتها كانت تحفظ (بشباك البوستة) حتى تبعث من يأتى لها بها .

– وما يمنع من أن تراسلنى كما كنت تراسلها؟

– حينئذ بعد وصول مكتوبك بيوم ابعثى من تثقين بأمانته ويسأل عن اسم (ج.ل) بشباك البوستة.

– وهو كذلك .

ثم أخرجت الساعة فألفتها بلغت الساعة الثانية عشرة فقالت:

– إذا سمح لى أخى بأن أقصد الدار أكون شاكرته على حسن ذوقه وشريف إحساسه وعساه أن لا ينسانى .

– كيف ذلك ياعزيزتى ؟

لا تخافى إن غبت أن نتناسا	ك ولا إن واصلتنا ان نَمَلاً
إن تغيبى عنا فسقيا ورعيا	أو تحلّى فينا فأهلا وسهلا

ثم نزلت من العربة ووقفت قليلاً ويدها في يده تودعه وهي تقول:

– في حفظ الله يا من أزحت عني من مصائب الحياة ما كاد يدهورني من أوج الشرف إلى حضيض الذلة والمسكنة .

أوْليتني نعَمَا رجعت بشكرها   ومنحتني كل الأمور بأسرها

فلأشكرنك ما حييت وإن أَمُتَ   فلتشكرنك أعظمي في قبرها

الفصل الثالث

وصلت جميلة الدار وهى فى أفكار مختلفة، وحينما دخلتها اعتزلت الناس وأخذت تفكر فى معروف جميل الذى أولاها إياه. وكانت لجميلة ترب من زمن التلمذة اسمها (زكية) وكانت فى انتظارها، ولما بلغها أنها أتت من الخارج أسرت إليها وجلستا معًا ولكن جميلة كانت تجيبها بفكر مشتت .

خافت (زكية) من أن يكون تشتيت فكر جميلة ناشئًا من أنها مرغمة على الزواج فأرادات استطلاع الخبر فسألتها:

– إنى أهنئك يا أختى من صميم فؤادى.

– دامت أخوتك وسأرد لك هذه التهنئة قريبًا .

– إن شاء الله تكونين مسرورة من زوجك.

– بلا شك فإنه شريكى فى حياتى .

– وأتعشم فى أن يكون موافقًا مشربك.

– هذا شىء لا يظهر الآن .

- ومتى يظهر؟

- بعد معاشرته واكتشافى داخلياته.

- لا بد من أن يكون بلغك عنه شىء من أخباره.

- كل ما يبلغنى عنه هو ما تتناقله الألسن، ولا يخفى ما فى ذلك من الإطراء .

- قريبًا أزورك فى دارك الجديدة وتسرين إلى من حديثك ما يسرنى.

- لى الشرف أيتها الأخت فإنى لا أنسى أيامك الأولى فقد كنت كاتمة أسرارى كما كنت لك الصديقة المخلصة .

- أأنت تعتقدين ذلك إلى الآن؟

- هل أفكارك أنت تحولت؟

- إذا كان الأمر كما ذكرت لِمَ لَمْ تذكرى لى شيئًا مما يكنه فؤادك؟

- إن فؤادى كما تعلمين أنقى من عِرضى.

- وما لى أراك شديدة التفكر؟

- لا شىء يؤثر علىّ غـيــر أن أترك أهلى ومنزلى الذى آوتنى جدرانه.

– ولكن مما يخفف عليك ذلك أنك ستكونين ربة بيت أنت رئيسة من فيه .

– أحسنت فى ما قلت، ولقد أذهبت عنى بعض ما فى فكرى .

– لا بأس بأن تفصحي لى عن الباقى عساى أن أجد لى قوة أهزم بها ذلك الجيش .

– إن من العسير أن يقوى إنسان على تيار هذا الفكر .

– لا تظنى العجز، فما قوى فكر على مفكرَيْن .

– ربما لا تجدين لك قدرة .

– ومن أين جاءك؟

– لأنى عجزت قبلك .

– هذا ليس بدليل كافٍ .

– دعينا يا أختى من ذلك .

– لقد أقلقت راحتى بهذا النبأ ولو سكت لأحسنت صنعًا .

– هبينى لم أنطق .

– لا يمكن .

– لم؟

- لأنك عبَّرت تعبيراً آلمنى كثيراً .

- وماذا تريدين .

- أريد أن تفصحى لى عما انتابك إن كنت تعتقدين الصداقة.

- وإن لم أفصح .

- أعلم أن عُرَى مودتنا حلَّتها يد التباعد .

- بربك دعينى .

- ولم ذلك؟

- لأن صدرى يضيق ولا ينطق لسانى .

- حينئذ سرُّك غرامىٌّ .

- أأنت تعتقدين ذلك فى تربيتى؟

- هذا ليس ببعيد .

- وإذا فرضنا وكان السر غراميًا كما تدّعين، أهل بيننا ما يدعو إلى إخفائه؟

- حينئذ ما الذى يمنعك؟

- الذى يمنعنى أن الخبر ربما يسوؤك .

- أله علاقة بى؟

- لا .

- لقد زدت أشجانى . بالله أريحينى .

- الخبر بسيط .

- لقد جسَّمته بامتناعك .

- أتعاهديننى على مساعدتى؟

- أنسيت العهد القديم؟

- وما يمنعك من تجديده؟

- يمنعنى من تجديده شدة الألفة ودوام الاتحاد.

- لا عدمتك أيتها الأخت فأنت مشيرتى التى أعتمد عليها.

- إذا اعتقدت ذلك وجب عليك الإفصاح .

- عاهدينى على أن لا تفشى السر لأحد .

- كونى على بينة من ذلك.

- إذن كونى صاغية.

- ها، كلى آذان تسمع وقلوب تعى وفكر يشاركك فى جل العويص من مسألتك .

- أتتذكرين يوم أن أرسلت لك الخطاب واعتذرت لك بأنى ذاهبة غداً لشراء قرط ولا تمكننى مقابلتك؟

- هذا أمس.

- لا كان هذا اليوم.

- بالله ماذا جرى؟

- لقد شاهدت فيه خطباً كاد يودى بحياتى.

- تعساً للزمن أخبرينى بالله.

- اشتريت القرط وسرقه كمسارى الترام.

- فداؤك يا عزيزتى، وهل ضياع القرط يذهب بحياتك؟

- لا ، بل رزقنى الله بشاب مهذّب ردّه إلىّ .

- حينئذ لم تذهب حياتك.

- ليتها ذهبت ولا كان ماكان.

- ماذا جرى؟ أتمِّى الموضوع.

- بعد أن احتال على الكمسارى وأرهبه بحضور الجندى وأخذه إلى القسم ورد القرط إلىّ طلب منى استنشاق الهواء معه .

- ازجريه ودعيه كلباً ينبح على نجم فى السماء .

– فعلت وذهبت إلى الدار .

– حينئذ ذهب ما يؤلمك .

– ولكن بعدما ذهبت فكرت فى أذيته .

– لقد أحسنت صنعًا .

– كلا، بل أسأت كل الإساءة.

– يا للعجب! إلى من ؟

– إلى نفسى .

– كيف ذلك ؟

– خرجت اليوم أفتش عليه حتى شاهدت من يشابهه فنظرت إليه فتقدم منى فسلمته للبوليس بدعوى أنه غازلنى .

– حينئذ يلقى عقابه .

– من الغريب أن الجندى شهد ضدى حيث أفهم الضابط أنى أهنته بلا سبب .

– وا خيبة المسعى .

– وسُجِّلت علىَّ التهمة .

– وكيف تخلصت؟

– الذى خلصنى هو ذلك الشاب الذى رد إلىَّ القرط .

– بأى طريقة؟ ومن أحضره إليك فى القسم ؟؟!!

– كان بالصدفة أمام الضابط متهمًا فتقدم للشهادة وبرأنى وبرئ هو أيضًا .

– الحمد لله وما يحزنكما الآن؟

– الذى يحزننى أنه طلب مكاتبتى .

– وما الذى يمنعك من ذلك؟

– الذى يمنعنى هو أننى حليلة رجل آخر وهذا يُعد خيانة منى له.

– لقد أصبت فى قولك. وما الذى يريده من رسالاتك؟

– دوام الألفة .

– وما الفائدة منها؟

– ليعلم من التى قدم إليها خدمته.

– له الحق فى طلبه لأنك أسيرته ولا بد من مكافأته على فعلته هذه.

– بم أكافئه؟

– بما فى استطاعتك .

– آه يا أختى ! لا أستطيع غير أن أقدم له حياتى.

– إذن تريدين زواجه .

– يا حبذا لو تم ذلك .

– حينئذ تحبينه .

– آه!

– أجيبى .

– لا أقدر .

– وما يمنعك .

– خوفى من ملامك.

– لا لوم عليك إذ لو كنت فى مركزك لقدمت له نفسى مختارة.

– وهذا ما أفكر فيه الآن .

– عسير جداً يا أختى حيث يوم قرانك حان.

– ما الذى أصنع؟ ها أنا صرحت لك بما فى فكرى، وما لك عجزت عن تبديد جيش أفكارى كما كنت تقولين؟

– فى رفض قرانك بمن لا تعرفين من أخلاقه شيئًا .

– وما الذى عرفت من أخلاق ذلك الفتى؟

– حسبك من معرفة أخلاقه أنه خادم الإنسانية.

– وكيف أرفض قرانى بعروسى بعدما أجبت غير مرة بأنى راضية به؟

– أنا أضمن لك عدم قرانك .

– إذا تم ذلك فتكونين أختى حقيقة .

– لا تحملى همى فهذا أهون علىّ من ردٍّ طرفى.

– إلى كم تهوِّنين العسير .

– لا تحزنى فقد دبرت ما يضمن لى النجاح فى مهمتى. أيمكنك أن تدلينى على عنوان عروسك؟

– هذا سهل جدا كالآتى:

(محمد عبده تاجر جواهر بشارع ...)

– كفى كفى سيرفض قرانك.

– كيف ذلك؟

– ستعلمين بعد.

– وما أصنعه مع ذلك الفتى؟

– أتعرفين عنوانه؟

- بكل تأكيد .

- إذن راسليه وإذا قدرت على استمالته وطلبه منك القران فزت ببغيتك.

- هذا لا يمكن على ما أظن إلا بعد أن يعلم بانفصالى عن قرينى .

- سيلعم ذلك بعد خمسة أيام.

- أفى منام أنا؟ !

- بل فى يقظة وسيتحقق لك صدق قولى بعد غد.

- إنك مازحة يا أختى.

- أعهدتِ ذلك فى تربيتى؟

- أنا ما عهدت فيك المزح إلا الساعة.

- لا تغيرى أفكارك من جهتى .

- أشكرك جداً.

- اسمحى لى الآن بأن أذهب لأتمم مهمتى . واكتبى لذاك الفتى جواباً رقيق العبارة وانتظرى جواب خطيبك الذى سينبئك فيه برفض القران .

- لك الشكر الأبدى . تفضلى تصحبك السلامة .

خرجت زكية وبقيت جميلة غير مصدقة بما قالته تربها. غير أنها عمدت إلى ورقة وكتبت إلى جميل خطاباً رقيق العبارة وأرسلته له حسب عنوانه

الذى عرّفها إياه ساعة أن ودّعته، وانتظرت زكية حتى تعود فتبشرها بنجاحها .

لا ينسَ القارئ قلب جميل المضطرب وفكره المشتت ولا يفُتْه ما يعانيه مثل هذا المغرم من لوعات العشق وتباريح الجوى خصوصاً وقد علم أنها مخطوبة لغيره.

قضى يومه ولا يعلم ما صادفه حظه من الحسن ومرت ليلته وهو فى هواجس متنوعة ولم يفاتح أحداً فى أمره .

من الغريب أن امرأته كانت مريضة فلم يهمه أمرها ولم يباشر عملية الجراحة لها. بل لم يسألها عن حالتها .. قضى ليله وهو بين عوامل اليأس حتى أصبح الصباح فجاءه الخادم بخطاب جميلة الذى أرسلته بالأمس بطريق البوستة وسلمه له ففض مظروفه فرأى به:

أخى العزيز

أهديك من السلام أرق ما يحمله النسيم وأخصك بكل عبارات الاحترام. وإن القلم ليعجز عن أن يعبر لك عن أشواقى وكفى يا عزيزى أن تتطلع على كل ما فى فؤادك فإنك ساكن قلبى.

مَنْ مثل قلبِىَ أو مَن مثل ساكنه   الله يحفظ قلبى والذى فيه

إنى لمسرورة من معرفتك متشرفة بذكرك غير أنى متأسفة لعدم قدرتى على مكافأتك فالله يتولى جزاءك فهو نعم المولى ونعم النصير،

أختك

جميلة

لم يتمالك جميل نفسه وود لو يعرف لها منزلاً فيذهب ليقبل جداراً ضم بين جوانبه يداً كتبت هذا المكتوب وفكرة أملت تلك الجمل الرقيقة. وعلم أن الزمان ساعده فكم كان بالأمس يتمنى لو سمع من فيها مثل هذه الجملة فكيف بيد سطرت وعن ضميرها عبرت؟ ثم عمد إلى مكتبته وكتب لها الجواب وأرسله بالبريد . وفى الصباح ذهبت بنفسها واستلمته وقرأته فرأت به:

أختى العزيزة

بيد المسرة تلقيت خطابك الكريم فمرحباً به وأهلاً بقدومه، وإنى أعبر عن طيب خاطر أنى غير قادر على أداء الشكر لحضرتك وأتعشم فى دوام رسالاتك التى تخفف عنى آلام التفكر فى حالتى التى سأصل إليها بعد قرانك فإن غايتى من الحياة أن تكونى قرينتى . ولكن ما الحيلة وقد نفذ السهم؟ فصبراً يا أختى على هذا الخطب الجسيم، وسلام عليك أينما كنت. وفى الختام تنازلى بقبول تحياتى،

المخلص

جميل

قرأت جميلة الكتاب ولا يخفى على فطنة القارئ ما صادفته من الفرح الشديد حينما وقع نظرها على تصريحه لها وتمنيه قرانها. ووجدت لها سبيلاً بعد إلى مكاتبته، ولا ينسَ القارى وعد زكية فإنها انتظرتها لعلمها بما تم فى مسألتها فذهبت إلى الدار تنتظر زكية حتى تعود.

الفصل الرابع

نزلت زكية من عند جميلة تدبر حيلة تضمن بها نجاحها لتبر بوعدها. وقد تمت حيلتها وظهر أمامها النجاح مجسّماً فباتت ليلتها قلقة تنتظر الصباح.

فى الضحى قصدت محل تجارة محمد عبده خطيب جميلة فما كاد يراها حتى قام إجلالاً لقدومها وجذبها نحوه بألفاظه الرقيقة كما هى عادة كل تاجر ... فعرجت على حانوته ودخلت وبعد أن جلست طلبت جواهر متنوعة. وغير خافٍ أن من يريد سبك حيلة مثل هذه لا بد أن يكون متقمشاً بأجمل الثياب وأفخر الحلل.

والبيت لا يُبْتنى إلا له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتادُ

اندهش هذا الفتى من هذه الطلبات المتنوعة وأخذ يلاطفها كثيراً. وكان بيدها صورة فوتوغرافية لفتاة أخرى آية فى الجمال فطرحتها أمامه فالتقطها بسرعة وبعد أن تأمل فيها قالت له :

– كيف يسوغ لك أخذ صورتى بلا إذن منى؟

- المسوغ لطفلك يا عزيزتى.

- أتعرفنى من قبل؟

- لا .

- لقد أهنتنى كثيراً.

- عفواً يا سيدتى.

- إن الآداب تقضى عليك بأن لا تنظر إلى صورتى.

- ولكن هلا أجد من مكارم أخلاقك شفيعاً لهذه الإساءة؟

- لو استأذنت قبل أن تنظر إليها لأذنت لك .

- هبينى استأذنت.

- أتعجبك هذه الصورة؟

- لم أرَ أجمل منها .

- إذن هى لك.

- وإنى أتقبلها بكل سرور.

- أشكرك.

- كيف كنت تنهريننى على رؤياى إياها؟

- لأنك أسأتنى .

- أسأتك؟ ربما كانت لفتى غيرى فتجارأت على أخذها لنفسى.

- كلا بل هى لك .

- عجباً!

- لا عجب فقد كنت أحاول أن أقدمها لك من سنة تقريبًا ولكن لم تسمح الفرص .

- وهل تعرفيننى من قبل؟

- آه ! ما أسوأ حظى!

- لم ؟

- لأنك تنكر معرفتى . واخيبتاه.

- عفواً، من أنت؟

- أنا؟ أنا الشقية . أنا التعيسة . أنا التى وقعت فى حياتك ولم تجد لها من ينصفها.

ثم تباكت .

اندهش الفتى كثيراً من أمر هذه الفتاة وأخذ يفتش فى فكره عساه أن يعرفها من قبل فلم يهتد فلاطفها قائلاً:

- لا تحزنى فإنى طوع إرادتك. فهل تعرفيننى من قبل؟

- آه ما أشقانى! ألم تعلم ذلك؟

- نعم يا سيدتى.

- ولم يخبرك ضميرك؟

- من أنت بالله؟

- أنا فتاة قضت ليالى بعدك عنها وهى تتقلب على فراش الأسى والأحزان. وتتمنى لو تراك فى المنام. ولكن أنى لها ذلك وقد خاصمها الرقاد؟ ويلاه.

- أأنا سعيد إلى هذه الدرجة؟!

- اعلم يا عزيزى أن أبى مات عنى وعن أخت صغيرة وترك لنا أموالاً كثيرة وعقارات أكثر، وكل ما أمتلكه هو فداء لكلمة تخرج من فيك تدلنى على أنك تعاهدنى على مودتك المستديمة .

- فليكن ذلك.

- الله ما أسعدنى! أعن صدق تقول ذلك؟

- تأكدى من صدقى وصداقتى .

- أتود معرفتى؟

– أنا خادمك المطيع.

– عفواً أنت السيد المالك.

– حاشا بل أنا رهين إشارتك.

– أتقبل من هذه الوفية هدية تريد أن تقدمها لك؟

– لا يأبى الكرامة إلا لئيم.

– إذن تقبل هديتى ؟

– طبعا . وما هى؟

– هى حياتى .

– حياتك ... !! ؟

– يا لتعاستى! أتستصغر حياتى هدية؟ فماذا أقدم؟

– لا ياعزيزتى ما استصغرتها ولكن أخذ ...

– ولكن ماذا؟

– أخذتنى الدهشة من معرفتك وتقديم هديتك فى ساعة واحدة.

– إلى الآن تصرح لى بأنك لا تعرفنى؟! ألم تعلم أنى مغرمة بك من سنة مضت؟ تعساً للزمن .

- لا وشريف خاطرك . أنا ما دهشت إلا لسعدى الذى أقبل وما كان منتظراً.

- أتعاهدنى على الوداد؟

- أعاهدك.

- وعلى دوام الألفة؟

- بكل ارتياح.

- ومن يضمن لى ذلك؟

- إخلاصى لك.

- أتصْدقنى فى كل سؤال؟

- أنا ما تعودت غير الصدق.

- أعندك أولاد.

- ما رزقت أولاداً.

- حينئذ لم تتزوج.

فبهت قليلاً وتحير وأجابها بعد زمن قليل:

- وما الذى يعنيك من زواجى؟

- لى بغية فى اكتشاف هذا الخبر.

- أريد أن أعرفها.

- إلام تتكر يا حبيبى؟

- لقد أجبتك.

- حينئذ أنت متزوج.

- ما الغاية من هذا السؤال؟

- الغاية؟ أعلم حقيقتك، فإن كنت سعيدة علمتك عزبًا وإن كنت شقية علمتك متزوجًا.

- هبينى عزبًا .

- إذن أنا أسعد الخلق وأهنأ الناس حياةً.

- كيف ذلك؟

- لأنى أغنم وفاءك ولا يشاركنى فيك أحد وأنت تكون رب البيت وصاحب كل هذه الأملاك ووالدتى مما يسرها أن ترى لابنتها قرينًا يكون عوضًا عن أبى وهذا مما يدعوك لترك هذا الحانوت وما فيه وتنظر فى تقويم صحتك وتكون لك عربة خصوصية وتلقى فى يدك مقاليد حياتنا ومفاتيح أرزاقنا. أفلا يعجبك قولى ... ؟؟

فاغتر بهذه الأقوال وظنها حقيقة ولم يشك في صدقها لأن هيئتها تدل على أكثر مما قالت، فسكت طويلاً ولم يجبها فقالت:

- ما لك أطلت السكوت ولم تجب؟

- إني لفي حيرة شديدة .

- لم؟

- لأني شرعت في الزواج.

- بمن؟

- بفتاة لم أرها.

- وهل تفضل من لم تعرفها عمّن تجود لك بنفسها وتحلك محل الروح من الجسد؟ أتواسي من لم تنظرها ولا ترحم من تستمطر غيث عطفك وحنانك؟ أتقترن بمن شرعت في زواجها وربما لا يتم إلا بعد أشهر وترفض طلب من تسلم لك قيادها من هذا اليوم؟ إنك لظالم لا ترحم! آه يا ربي أمتني أسترح من مصابي فقد آلمني هذا القاسي برفضه طلبي .

- لا، بل كاد الزواج يتم.

- يا اشقائي وهول مصيبتي!

وهمّت لتذهب فاستجلسها فقالت.

– دعني، دعني أذهب لحالي. دعني أذهب فأنتحر وأتخلص من آلام الحياة، دعني أموت شهيدة حبك وغرامك، دعني أنظر في ما يخلصني . دعني أموت أولى من هذه الحياة التعيسة .

– رويداً رويداً.

– دعني .

– بالله اجلسي قليلاً.

– ماذا تريد يا قاسي القلب؟ تالله لو كنت أخاطب صخراً لرق لحالي . ولو سمع شكايتي الجبل الراسي لاندك.

– رباه ماذا أصنع؟

– أمتني بيدك إن شئت هنائي أموت وأنا هادئة الأنفاس .

– لا، بل تحيَين يا عزيزتي.

– أأحيا وأنا شقية تعيسة؟

– بل سعيدة هنيئة .

– ومن يضمن لي ذلك؟

– أنا.

- وهل يمكنك أن تتحول عن خطيبتك؟

- إن هذا لعسير جداً حيث ليلة الزفاف ستكون بعد خمسة أيام.

- يا لهول مصيبتى! يا لشقائى! يا لتعاسى!

- لقد حار فكرى ولم أجد لى طريقًا أسلكه لأن الوقت أزف . ومن العسير أن أفاجئهم.

- بأى شىء؟

- بالرفض .

- لا ترفض بتاتًا بل يكفى أن تعلمهم بجواب أنك ستسافر لمهمة عرضت وتؤجل ليلة الزفاف شهراً .

- وإذا مضى الشهر ماذا أصنع؟

- تخبرهم بعبارة أهم منها كموت قريب أو غير ذلك وهذا مما يؤثر على أهل العروس ويعتقدون فى أنها شؤم عليك وبذلك أضمن لك رضاءهم برفض القران وإن كان عليك متأخر لها فأنا أكفل لك دفعه ولو كل ثروتى.

- شىء جميل . معقول جداً هذا القول .

- إذن ما يمنعك من كتابة خطاب لأبيها وتخبره بأنك ستسافر غداً حيث جاءك جواب يفيدك بمرض ابن عمك؟

- لا شيء وها أنا أكتبه.

ثم جاء بورقة وكتب فيها:

سيدى الوالد،

بكل أسف أخبرك بأن ابن عمى فاجأه مرض شديد من أيام واليوم وردت إشارة تدعونى للسفر وربما أتأخر هناك هذا الأسبوع وهذا مما يعطل الزفاف فأرجو تأخيره حتى يشفى العليل.

محمد عبده .

- تفضلى واطّلعى على هذا المكتوب.

قرأته وقالت:

- شيء جميل . وإنى لسعيدة من الآن .

ثم طلبت غلافًا فجاءها بمظروف فكلفته بكتابة العنوان فأملاه عليها وكتبه وحفظت الجواب عندها فقال لها:

- ما سبب حفظك هذا المكتوب؟

- لى فكرة فى ذلك.

- أعطيه للخادم يلقيه فى صندوق البريد، والبريد كفيل بتوصيله لصاحبه .

– أنا لا أثق إلا بذمتي، وبيدى ألقيه فى صندوق البوستة.

– لا بأس .

– إذن متى أقابلك لأنظر الرد فيرتاح فكرى؟

– إذا كنت أعلمته بسفرى كيف يرد علىَّ جوابًا؟

– كأنك ترفض مقابلتى . إلى متى أكون شقية؟

– لا يا عزيزتى أنا أتمنى مقابلتك .

– إذن أحضر إليك غداً.

– غدا لا يمكن .

– لم؟

– لأني سأحتجب عن الحانوت كل هذه المدة.

– وا مصيبتاه! وأين أراك؟

– نتقابل فى الخارج.

– حينئذ يكون ذلك بعد غد.

– فى أى ساعة؟

– الساعة الثالثة بعد الظهر.

- عند ميدان العتبة الخضراء ونذهب إلى القناطر الخيرية.

- بكل ممنونية.

- إذن اسمح لى أن أذهب.

- مع سلامة الله .

ثم تركته ومشت فرحة بنجاح مهمتها، وفى أثناء طريقها صادفها صندوق البوستة فألقت فيه المكتوب وأرادت الذهاب إلى جميلة فلاقتها أمها فى الطريق وأخذتها إلى الدار لأشغال عائلية. أما محمد عبده فقد أصبح لشدة غروره وسذاجة عقله جذلان فرحًا بهذه الصدفة الغريبة ثم أغلق حانوته وذهب إلى أهله يتمطى واعتزل الناس حتى أتت ساعة الميعاد التى ضربها مع مخطوبته التى أخذ منها الصورة ولم يعلم الاسم فازداد عجبه ودهشته من عدم وقوفه على اسمها واسم عائلتها حتى يسأل عنها، ولكنه لم يشكّ فى صدقها وعلم أن سعده حان واقتربت ساعة سروره .

ومثل هذا الفتى من لم يُعِدْ نظراً

في عالم الصدق والإخلاص معذور

ألقت (زكية) فى مصر شباكتها

فاصطادت الغر والتغرير ميسور

الفصل الخامس

بينما كان أبو جميلة جالسًا مع كثيرين يتشاورون فى ما يجب عليهم نحو العروس فى ليلة الزفاف إذ حمل إليه البريد مكتوب محمد عبده فقرأه وامتقع لونه وأخبر الحاضرين الخبر فتشاءموا جميعًا ولكنه أمرهم بإخفاء الأمر.

بلغ أمَّها هذا النبأ العظيم فحزنت لهول مصاب بنتها وكظمت غيظها وعضت نواجذ الأسى وتكتمت الخبر لئلا تسمع ابنتها فتحزن.

فى الغداة حضرت زكية فقابلتها أم جميلة ولخطارة الموضوع لم تتمالك نفسها فأخبرتها الخبر وطلبت منها أن تبلغ جميلة ذلك، ولكن بشكل لا ترتاع منه، فوعدتها خيراً.

دخلت زكية على جميلة فرأتها جالسة تفكر فى أمرها فسلمت وجلست وابتدرتها بالحديث:

– ماذا صنعت؟

– لقد تمت الحيلة، ذهبت إليه وأوريته أنى غنية موسرة وبرر

قولى ما تحليت به وأعطيته صورة فردوس هانم التى كانت معنا فى المدرسة فحسبها صورتى وأظهرت له كل المَيْل فصدق بغرامي، وما تركته حتى كتب جواباً ألقيته فى البريد بيدى وقد وصل أباك اليوم ولذلك ترين مَنْ فى منزلكم فى حزن دائم وقد كلفتنى أمك بأن أبلغك الخبر، وترجوك أن لا تحزنى .

– ما أجمل بشارتك وأحسن فكرتك!

– وسأقابله غداً وأدع الحيلة تتم.

– بأى شيء؟

– بإرسال أمه بعد غد وتخبر أمك بأنه تشاءم منك وحينئذ يجد له مندوحة إذا رفض قرانك. وهل أرسلت لجميل خطاباً؟

– وهذا هو الرد.

بعد أن قرأت الجواب المرسل من جميل لجميلة الذى عبر لها فيه عن ميله لقرانها وتأسفه على زواجها بغيره قالت:

– شيء جميل، لقد لمح لك عن الزواج.

– وهذا مما سرنى كثيراً .

– من غير شك.

- وما رأيك فى الرد عليه؟

- داومى رسالاتك لتجذبى قلبه بمغناطيس كلامك.

- هذا ما يدور فى خلدى.

- هو الصواب .

- ولكن أستحسن إرسال الرد غداً.

- لا بأس.

- بلغى أمى أننى لم أستأ من ذلك الخبر وأنى لا يهمنى الزواج ما دمت متمتعة بصحة أبوى .

- سأقوم بهذه المهمة .

- إنى لا تمكننى مكافأتك يا أختى العزيزة.

- أعلَى الواجب يكافأ الإنسان ؟

ثم تركتها وذهبت إلى أمها وأخبرتها بأن ابنتها لم تجزع لهذا الخبر وأنها لا يحزنها إلا أن يتشاءم الناس من هذا النبأ العظيم فقالت لها:

- هذا ما أحزننى.

- وما الحيلة والمقدور لا شك نافذ؟

- بالطبع.

- هذا لا يهم ، وإذا تركت هذا العروس أنا أزوجها بفتًى ذى يسار ووقار حسن السير والسيرة ... !!!

- أشكرك يا ابنتى العزيزة.

- لا شكر على الواجب .

- حقيقة، فإنها أختك .

ثم تركتها وولت وجهها شطر منزلها تعد فى ما عساه أن يكون غداً متى قابلت ذلك العروس الأبله والغر الجاهل .

تركنا جميلة فرحة مسرورة لنجاح مسعى زكية.

فكرت فى ما عساه أن يكون بعد مسعى هذه الأخت المخلصة ثم رأت من الواجب أن ترسل لجميل مكتوباً فكتبته وأرسلته مع خادمتها بالبريد وأمرتها بإخفائه عن العيون فقامت بمهمة الجواب خير قيام.

قضى جميل يومه وليلته مشتت الفكر معتكفًا عن كل من فى الدار وكان ينزل وينظر بنفسه حامل البريد ليسأله عن رد جوابه وناهيك بما يلاقيه مثل هذا المدله فقد مضى عليه نصف أسبوع كشطر من عمر نوح .

يود لأن يمسى عليها لعلها   إذا سمعت عنه بشكوى تراسِلُهْ

لما يئس من مقابلة ساعى البريد أمر الخادم بإحضار الجواب بكل سرعة متى أحضره الساعى .

لم يشك الخادم فى أن هذا الجواب له أهمية كبرى عند سيده فأخذ ينتظر الساعى بفروغ صبر مؤملاً فى أن يأخذ من سيده مكافأة إذا أوصله له .

من الغريب أن صبيحة اليوم الذى جاء فيه الرد لجميل لم يفتح نوافذ حجرته حتى يحكم على إشراق الشمس بدخول ضوئها ولو من خصاص النافذة.

بلغت الساعة الثامنة والنصف فوصل الخطاب يد الخادم فأسرع إلى حجرة سيده وطرقها طرقًا خفيفا (عادة الخادم مع مخدومه)، ومن شتات فكر جميل لم يسمع طرقات الباب .

لم يشكّ الخادم فى أن سيده بارح الحجرة لقضاء حاجة فجلس خارجها ينتظره حتى يعود .

مضت ساعة والخادم ينتظر سيده حتى ضجر وفى تلك اللحظة مر أحد الباعة ونادى بنوع من الفاكهة فتقدم جميل إلى النافذة لينادى البائع فصادفه شعاع الشمس فهرول إلى ملابسه ونظر فى ساعته فرآها فى العاشرة فأخذته الدهشة من عدم ورود المكتوب وارتدى ملابسه بغير نظام وعزم على الخروج ليجوس خلال المدينة عساه أن يصادف من جميلة خبراً.

تقدم إلى باب الحجرة وفتحه فوقف الخادم إجلالاً لسيده فقال له:

- ما أتى بك إلى هنا؟

- أ ... ما ... جاء ... ال .. ..

- ما لك؟ تكلم . من أمرك بالصعود؟

- أنا حضر ... ضد ..

- وكيف تترك باب المنزل؟

- مو ... لا ... ى.

بعظمة وأبهة:

- اذهب إلى مكانك.

- مهلاً.

- اذهب فأنا لا أريدك خادماً لي.

- أنا ما جنيت ذنباً.

فلطمه وقال:

- أبعد تهجمك على حجرتي الخصوصية يكون الذنب؟

- أنا ما تهجمت .

– وما الذى أوجدك هنا؟

– أمر مهم .

– أعندك أمر أهم من وجودك على باب المنزل؟

– نعم.

– تبًّا لك يا خاسر . قد أمرتك بالجلوس وعدم مبارحة الباب لتستلم رسالاتى من ساعى البريد.

فقدم المكتوب بفتور وقال:

– ها هو الجواب .

قدم إليه المكتوب فأخذه بلهفة الظمآن إلى الماء وحينما فض غلافه مزق نصف الجواب مع الظرف فتكدر وعَلَتْه الكآبة ولما رآه الخادم على هذه الحال ظن أن فى المكتوب خبرًا سيئًا فترك سيده ومضى .

أخرج جميل شق المكتوب ولم يدر أنه هو الذى مزقه فوقف حائرًا والتفت ذات اليمين وذات الشمال يفتش عن الخادم فلم يجد له أثرا فرجع إلى الظرف ونظر فيه فوجد شق المكتوب الثانى فعلم أنه هو الذى جنى تلك الجناية.

جمع شِقَّى المكتوب وبعد جهد جهيد حل رموزه وإذا به شقيق الروح:

بيد الممنونية استلمت مكتوبك الكريم وحينما اطّلعت عليه لم أتمالك نفسى من البكاء شوقًا لرؤياك .

كان ودى أن أرد المكتوب فى حينه ولكن أخرنى عن ذلك انتظارى أمرًا مهمًا لى ولك منه فرح عظيم.

وإليك أيها المخلص أزف من البشرى ما يشرح صدرك ويضمد الجراح حيث ورد من خطيبى مكتوب لأبى يعلمه فيه بأنه سافر وطلب تأجيل الزفاف.

وإن هذه البشرى تقبلتها بصدر منشرح وفؤاد مسرور وأنا أريد مقابلتك يوم الخميس عند ميدان باب الخلق وعساك أن تجود بانتظارى الساعة التاسعة صباحًا. وتقبّل فى الختام سلام المخلصة،

جميلة

ماذا يصنع جميل؟

لقد هيّج أشواقه كتابها وود لو تغالطه الأيام فينوب عن يومه الخميس وعن ساعته الساعة التاسعة ثم سلى نفسه بكتابة الرد وذهب إلى البريد بنفسه وألقاه وأخذ ينتظر رده .

زاد اللغط فى دار جميلة بين أهلها وشاعت الأخبار بأن قدمها شؤم على خطيبها وتراكم الزائرون وتوافد المعزون واحتشدت النسوة

اللاتى لا يزرعن غير بذور الشقاق وكانت أمها فى هذه الحال تذرف من مدامعها الهطالة ما جعلها ألعوبة فى يد الأفكار وقد أصبحت دارهم كمأتم يفده المعزون والمعزيات لا عرسًا يقصده المهنئون والمهنئات ولا يخفى ما فى تأخير الزفاف من دواعى إساءة الظن بالعروس .

كل ذلك جرى وجميلة مفكرة فى أمر جميل لا تأتنس بالزائرات ولا تحتفل بالمواسيات والكل عذرنها لعلمهن بأنها متألمة من ذلك النبأ المحزن .

جميلةٌ فكرت فى وصل عاشقها	وأهلها بجهاز العرس تشتغل
وكل سن له هم يلازمه	لا ينقضى الهم حتى ينقضى الأجل

الفصل السادس

لا ينسَ القارئ وعد زكية مع محمد عبده إذ فى هذا اليوم يحظى ذلك الأبله بمن سحرته بزخرف قولها واستمالت قلبه بوساوسها الشيطانية، فقد أخذ من صباحه يهيئ معدات المقابلة لينظر شمس سعادته! وما هى إلا هنية عدم فيها صبره وضاقت عليه الأرض بما رحبت حتى كانت أمامه فى عربة ونظرت إليه مشيرة فتبعها وعدا عدو الذئب وراء الشاة حتى انزوت فى مكان تأمن فيه المنتقد فركب معها وسارت العربة حتى وصلت المحطة وجاء بجوائز السفر وركبا قاطرة أقلتهما إلى القناطر الخيرية ولم يتمكنا من المحادثة فى القطار لأنها كانت فى صالون السيدات وهو مع الرجال. أما حديثهما فى العربة فلم يزد عن تحيات يألفها كل محب مغرم . بعدما وصلا القناطر اعتكفا فى حديقة غنَّاء وجلسا على أرائك تظلهما الأشجار وترقص طربًا تلك الغصون المورقة، وبعدما استقر بهما القرار ابتدرته قائلة:

– آه يا عزيزى كم كنت أتمنى لو صفا لنا الدهر فنجتمع هذا الاجتماع .

- لا تحلمى هنا فما هى إلا الأيام حتى نجتمع بأنس وحبور.

- أتعشم في أن تكون كتمت السر عن كل إنسان.

- هذا مما لا شك فيه . ولكني أعلمت أمي به.

- أخاف من أن تكون عثرة فى طريق نجاحنا لأنها هى التى خطبت لك عروسك والإنسان لا يرضى بأن يسفه فى أقواله.

- بالعكس فهى أول من يساعدنى ولا غرو إن قلت إنها مما يسرها أن أكون سعيداً بزواجى بك وقد أخذت على عاتقها إتمام الموضوع ومن اليوم ذهبت إلى بيت تلك الخطيبة لتعلنهم بالرفض بتاتًا.

- حسن جداً، ولكن هل يمكنك ...؟ لا . لا . لا داعى.

- أتريدين تكدير خاطرى؟ أفصحى.

- ربما إفصاحى يحزنك.

- وهل يتطرق الحزن إلى جليسك؟

- إن الأمر سهل، وهو أنى عرضت الأمر على والدتى.

- هل هى رفضت؟

- ليتها.

- لا حق لك فى إخبارها.

- ألم تكن والدتى تسر لسرورى كوالدتك التى يسرها صفاؤك؟ وها أنا أخبرتها لتكون على بينة من أمرى لأنها كثيراً ما كانت تحزن لو رأتنى أنوح على عدم تمكنى من مصافاتك واليوم سرها جداً ما أخبرتها به من حديثنا السالف واتفاقنا، إلا أنها لم تقبل زواجى فى الخارج وأمرتنى بأن أبلغك ذلك، فإذا رغبت السكنى فى دارنا لا يعوقنا شيء بعد.

- وكيف تحكم بوجودى فى منزلكم مع أن لى أمّا تجب علىّ مؤاساتها؟

- ولكنها تريد أن تكون فاتح بيتنا وتخلف أبى.

- وكيف يسوغ لى ذلك مع العلم بأنى إذا وصلت أمك قطعت أمى وإذا أزحت الهم عن هذه جلبته لتلك؟

- لقد صرحت لها بذلك فقبلت أن تخلى لوالدتك مكانا خاصّا فى المنزل وإذا شاءت تكون هى وإياها فى دور واحد.

- سأستشيرها.

- وإذا رفضت.

- لا ، لا أخالفها.

- حينئذ تقضى على حياتى. وما يمنعك من تحسين هذه الفكرة لها؟ أجبنى، فإنى لا أعرف بماذا أجيب والدتى.

- اعتذرى لها بأنك لم تفاتحينى فى هذا الموضوع.

- كيف ذلك وهى لم تصرح لى بالخروج إلا لقضاء هذه المهمة؟

- اكذبى لأجلى .. !!

- ما تعودت الكذب حتى أستعمله معها، وأنى لأربأ بك عن معرفة كاذبة (..!.:..) ...

- أعلميها بأنى قبلت على شرط أن تنهى الموضوع قريبًا .

- لا يمكن ذلك إلا إذا اطَّلعت على وثيقة الطلاق .

- إذن تفضلى لنعود وأنظر ما فعلت والدتى .

- ولكن أريد مقابلتك غداً عند ميدان الأزهار ليتم سرورى عساك أن تبشرنى بنجاح الموضوع .

- وهو كذلك .

عادا من القناطر وما تجارأ على مشافهتها فى أمرها لأنها كانت تفكر فى تتمة الحيلة وقد خلفته وذهبت فَرِحة عسى أن يكون سكونه عن سؤالها عن اسمها ناشئًا عن اقتناعه بصراحتها التامة .

لا تَلُمْ أبْلَهَا يُغَرُّ بِخُودٍ جره للشقاء لا شك وعدهْ
والذى سار بالخداع أسيراً فهو بين الورى (محمد عبده)

الفصل السابع

فى اليوم الثانى كانت جميلة تتهيأ لتصل البريد فتستلم مكتوب جميل وحينما همَّت بالخروج دخلت أم محمد عبده تعيس الحظ منكود العيش فتأخرت لمقابلة أم خطيبها وأرسلت خادمتها لتأتى لها بالمكتوب. دخلت أم محمد عبده وجلست مع أم جمية وأخذتا تتحدثان وابتدأت أم جميلة قائلة:

– عسى أن يكون المريض تحسنت حالته .

– سأسافر غداً لأن حالته متأخرة.

– وكم يوماً تقيمين هناك؟

– شهراً تقريباً لأن موتى الأرياف يمتد مأتمهم أكثر من شهر .

– وما يريده ولدك؟

– ولدى لا يمكنه القران إلا بعد سنة تقريبًا حيث تعلمين العوائد المتبعة عند الأهل والأقارب .

– إذن يريد فصل خطيبته .

– لقد أرسل لى مكتوباً أخبرنى أنه لا يسكن العاصمة حيث يريد أن يقوم بأعمال ابن عمه لأنه كان شريكه فى أشياء تجارية وعزم على بيع ما فى حانوته .

– حينئذ لا يريد الزواج .

– يتزوج وزوجته تسكن معه .

– لا نزوج ابنتى فى الأرياف .

– لِمَ ؟

– لأنه لم يشترط علينا ذلك .

– هى ملكه ويسكنها فى أى مكان شاء .

– إن ابنتى ليست سلعة يتاجر فيها . وإنما هى إنسان ذات شعور ووجدان ولا أرغمها على أمر تكرهه.

– لا كراهة فى ذلك فهى إذا رغبت زوجها سافرت معه إلى أقصى الأماكن .

– أنا لا أقدر على فراقها .

– وكيف قدرت أمك على فراقك ...؟

– لو كان زوجى بعيداً عن مصر لما رغبت أمى فى الزواج به.

- وهذا رأى ولدى ولا تقدر على إرغامه ولا تنازله عن رأيه.

- أخبريه بأننا رفضنا هذا الطلب.

- لا يمكننى فهو وحده صاحب الرأى.

- لا بل الرأى لنا ولو تزوجت بعد أعوام لا ننقلها من مصر.

- إذا كان الأمر لكم فاسمحى لى بأن أذهب وأخبره ولو تلغرافياً.

- تفضلى تصحبك السلامة.

- خرجت قاصدة منزلها فرحة مسرورة حيث بادرتها أم جميلة بالرفض.

بعد خروجها بقليل جاءت خادمة جميلة تحمل رسالة جميل وسلمتها لجميلة فقرأتها فرأت بها:

أختى العزيزة ،

سلاماً أبعثه إليك مع النسيم إذا اعتل وإنى لأشكر لك حسن صنعك وجميل تعطفك وأسأل الله أن يدنى أجل موعدنا فتكتحل العين بنور محياك وأسعد برؤياك وتقبلى فى الختام سلام أخيك .

جميل

فرحت جداً حيث عبر لها عن اشتياقه لرؤياها وسرّها كثيراً ما جرى بين أمها وأم خطيبها ثم قابلت أمها وأخذت تطعن

فى الـزوج وتظـهـر الكراهيـة من القـران به وأمــهـا تبـرر لـهـا الرفض قريبًا .

ذهبت أم مـحمـد عبده وقابلت ابنها المغرور والجاهـل الأحمق ناكر الجميل والهاوى بنفسه إلى بؤرة الشقاء والتعاسة فأعلمته بما يتم فاتفق مـعـها على إرسـال جواب لأبيـها ومعـه وثيقـة الطلاق فسـألته عما تم فى مقابلته فقال لها:

– لقـد اقـترحـت أمـهـا أن أسكن مـعـهـا فى منزلها على شـرط أن تكونى معها فى دور واحد .

– مـا أجـمل هذه البـشرى فإننا بدل أن نكترى دارًا تكون فى بيت خطيـبـتك بل فى أمـلاكك لأنك سـتكون رب البـيت وصـاحب السـيطرة العظمى (...).

وعلى ذلك تم الاتفـاق فمـا أصـغر عقل هـذين الشـخصين: أم بلهاء وولد مغرور .

وكــل الناس مجنــون ولكــن

على قـدر الـهـوى اخــتلف الجنون

ناهيك أيهـا القـارئ بمـا كـانـا يحلمـان به من زخـارف زينـهـا لهـمـا الشيطان وقد بنيا على أساس وضعته زكية بحيلتها الغريبة .

جاء حين الميعاد فخف محمد عبده لمقابلة زكية. حينما وصل ميدان الأزهار رأى خطيبته الموهومة فى عربة تنتظره فركب معها ودارت بينهما التحيات المعروفة بين كل أبله مغرور كهذا وفتاة ذات دهاء مثل زكية .

حينما وصلا (جنينة الأسماك) دخلاها ومشيا على بساط نسجته يد الطبيعة حتى قابلتهما أكمة صنعتها يد الإنسان فصعداها واعتكفا عن الأنظار وكان حديثهما قاصراً على الخطيبة والمخطوب والزفات وتأجيله ...

وأعلمها بما صنعته أمه وما اتفق معها عليه فقالت:

– وما يمنعك من إرسال الجواب ووثيقة الطلاق .

– سبق وأُعلمتهم بسفرى وإذا أرسلته من مصر يعلمون أنها حيلة دبرتها .

– هذا لا يهم. أخبرهم بأن أمك لما كانت هناك بعد نزولها استدعتك تلغرافيًا وبعد حضورك أعلمتك الخبر وحينئذ يدرك أن هذا ناشئ من حزنك على ابن عمك وتغيُّظك من الحضور لأمر بسيط كهذا.

– ولكن تعلمين أن مثل هذا النبأ لا بد أن ينزل عليهم كالصاعقة.

– تعسًا للزمن! ما لى أرى الرحمة تخالج قلبك والشفقة تلازم ضميرك؟! ولكن تلك الرحمة لمن نبذوك وهذه الشفقة لمن ضنوا عليك

بابنتهم، ولقد ظلمت من تستمطر غيث رحمتك فما أقساك! فتاة تصرح لك بحبها ولا ترضى غير تعاستها، فتاة تسعى فى سعادتك ولا ترضى لها غير الشقاء.

– عفواً عفواً لا تحزنى .

– متى أحزن؟ يوم أن تقول لى إنك رفضت طلبى ورحمت خطيبتك.

– تفضلى أيتها العزيزة لنصل ديارنا وهناك أحقق آمالك .

إن هذه الكلمة التى صدرت منك كانت برداً وسلاماً على فؤادى فلا عدمتك يارب الإنسانية.

خرجا من الجنينة فركبا عربة حتى ميدان الأزهار وهناك افترقا ولم يعلم لها منزلا ولم تطرح نقابها الأسود حتى ينظرها إن كانت دميمة أو مليحة ...!!

فما أسخف عقل هذا الغر الجاهل الذى ذهب إلى منزله ودعا مأذون تلك الجهة وحرر وثيقة الطلاق وشفعها بمكتوب أعلمَ أبا جميلة فيه بالرفض، وفى الصباح وصله فرأى به:

حضرة المحترم،

اليوم وصلتنى إشارة برقية من والدتى حضرت على أثرها ولما حضرت أعلمتنى أمى أنها أهينت فى منزلكم وأن زوجتكم رفضت سفر

ابنتك معى. ولما كانت طاعة الأمهات واجبة أرسلت خطابى هذا مشفوعًا بوثيقة الطلاق ومن اليوم أُعلِمُكم بانفصالى .

محمد عبده

قرأ المكتوب فاستبشر خيراً وأخبر أسرته وابنته .

وكل حصن ولو طالت إقامته   على دعائمه لا شك مهدوم

الفصل الثامن

أصبح يوم الخميس وكان جميل يغير ملابسه فدخلت عليه امرأته فرأته على هيئة غريبة وهالها منه توقُّفه عن إتمام حليته فلعبت فى فكرها الهواجس وسألته قائلة:

– أين تقصد.

– صديقًا حميمًا.

– ما عهدتك قبل اليوم إذا أردت مقابلة صديق تفرز كل ملابسك وتنتخب منها ما ...

– الوقت أزف وباقٍ على ميعاده نصف ساعة فأرجوك أن لا تفتحى بابًا للكلام .

ثم أتم عمله وخرج غير ملتفت إليها – لا يشك القارئ فى أن المرأة لها وازع من الشيطان يوسوس لها ولا ينسَ غيرتها على بعلها – ولو كان جميل برشده لما أستنكف من حديثها ولا ترفع عن مجاملتها . وقد فعل ما فعل وهو مستحسن إساءته .

يُقْضَى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حَسنًا ما ليس بالحسن

ما وافت الساعة التاسعة حتى تقابل العاشقان وركبا عربة، وبعد تحيات مألوفة سألها:

– إنى لفى حيرة من أمرك حيث أعلمتنى يوم رؤيتك أن زفافك مساء الخميس (اليوم) وجاءت رسالاتك تنبئ بالتأجيل.

– إن معروفك الذى أوليتنى إياه أردت أن أكافئك عليه ولم أجد هدية أثمن من أن أقدم لك نفسى، فسعيت فى رفض القران.

– زدتنى حيرة، فقد أعلمتنى فى رسالتك أن خطيبك هو الذى رفض.

– لى صديقة من زمن التلمذة دبرت مكيدة ونجحت فيها حيث قدمت نفسها زوجة ورضى بأن يستعيض بها عنى وقد جاء جواب لأبى أمس منه وشفعه بوثيقة الطلاق واليوم أصبحت حرة أقدم لك نفسى هدية ويجب أن تقابل أبى لهذا الغرض، واسمح لى بأن أذهب حيث تركت تلك العزيزة تنتظرنى لتقف على ما دار بيننا فى هذه المقابلة.

– ومتى أراك؟

– سأعلمك فى خطاب وأفهمك عنوان منزلنا لتحضر بنفسك وتسلم المكتوب لخادمة أعطيك أوصافها فى الجواب .

– إذن تفضلى وسأحقق لك ظنك بأُسرع ما يمكن .

ذهبت جميلة إلى دارها فلاقتها زكية فقالت لها:

– قابلته وأعلمته بأمر الطلاق فُسُّر كثيراً وقبل القران وقد عدت فائزة بأمنيتى، ولكن ماذا تصنعين مع محمد عبده؟

– سأتركه ولا أسأل عن خائر عزيمة قليل عقل مثله لأنى فى أمان حيث لم يعرف لى داراً ولا اسماً. والذى مكّننى من ذلك هو أنى كلما لاقيته شغلته بحديثى عن أن يفاتحنى فى مثل ذلك . وأتركك الآن وما عليك إلا أن تراسلى جميلاً. وقد أفهمت أمك أنى أزوجك بأحسن من خطيبك إذا طلقك وبذلك أكون اكتسبت عند أمك مركزاً لا يخفى عليك .

– أستودعك الله يا عزيزتى.

ذهبت زكية وكتبت جميلة جواباً لجميل ألقته بالبريد وجلست تنتظر الرد.

أما جميل فحينما وصل داره ألفى امرأته تكاد تتميز من الغيظ فقالت له:

– ما لى أراك قادماً متهللاً فرحاً كأنك قادم من ...

– وما يعنيك من ذلك؟

– أنك كنت قبل خروجك لا تعرف الضار من النافع كأنك طفل صغير.

– ما هذه الوقاحة؟ لقد كنت بعيداً عن الدار مرتاح الفؤاد .

– ومن دعاك إلى الحضور ما دام هناك هناؤك؟

فسكت ولم يجبها، فخلفته وخرجت لتحسم النزاع.

ولكن من أين يأتيها الصبر، ووقوفها على الحقيقة من المهم؟

عادت فدخلت عليه فسمعته يقول للخادم:

– إذا حضر ساعى البريد بجواب فـ ...

ولم يتم حديثه لأن زوجته دخلت، وحينما سمعت منه هذه الجملة رأت أنها تنتظر الغد، وهو وحده كفيل بأن يوقفها على الحقيقة . خرج الخادم وجلس جميل يتنهد تنهداً عميقًا (يفكر فى ما يؤول إليه أمره ، إذا تزوج اثنتين). وقد أرادت امرأته محادثته فمنعها انصرافه عنها . ولما لم يجد له فرجة خرج يطلب صديقًا يزيح عنه مثقلات الهموم . وبعد خروجه نادت الخادم وأفهمته أن الجواب الذى خاطبه فى شأنه من عند والدها فإذا جاءها به من عند الساعى كافأته على ذلك.

لم يعد جميل إلا بعد منتصف الليل . فنام هادئ البال مطمئن الخاطر بفرحه القابل خصوصًا وسيعلم من الجواب منزل حبيبته ... ومن سوء حظه لم يفق من سباته إلا بعد الساعة التاسعة.

فى الساعة الثامنة والنصف أوصل الخادم الجواب لسيدته فأعطته

مكافأة . ثم فتحت المكتوب ونظرت إليه فإذا هو مكتوب بخط جميل على ورقة ذات نقوش ففهمت أنه جواب غرامى فزادت غصتها لأنها لا تعرف القراءة ولا الكتابة فأرسلت الخادم ونادى ابن أختها من المدرسة وأسمعها نصه:

مالك فؤادى جميل

ألثم يديك شاكرة لك حسن ولائك . وأهديك من فؤادى الحرى سلاما وتحية . عزيزى، تقابلت مع أختى العزيزة التى صنعت الحيلة مع خطيبى السالف ووعدتنى بمساعدتى وأنى يا عزيزى منتظرة منك إنجاز ما وعدت به، وأرجو منك عدم مؤاخذتى إن لم أوضح لك عنوان المنزل فقد تعسر علىَّ ذلك . وأرجو أن يكون الرد باسم . ج. ل . بشباك البوستة كما كنت تراسلنى من قبل، والسلام.

المخلصة

جميلة

ما كادت تسمع هذه الكلمات حتى لحقها من الغيظ ما حملها على الإسراع إلى جميل ودخلت عليه وهو يدخن وقبل أن تجلس سألها:

- أين الخادم لأسأله عن ساعى البريد حضر أو لا؟

- حضر وجاء بجواب لك وهو معى.

– أعطينى إياه فهو مهم.

– من عند من هذا المكتوب الذى أزعجك؟

– من عند المؤجر.

– لم يكن من عنده فــلا تحــزن ولا أعطيك إياه إلا إذا عــرفت صاحبه.

– كيف أعرف صاحبه وأنا لم أر توقيعه .

– لا تشغل بالك فهو لم يكن فيه شىء مكدر .

– من أين جاءك ذلك مع أنك جاهلة بالقراءة والكتابة .

– ربمـا جـاءنى من أطلعنى على مـخـبـأتك يا خـائن. من عند من هذا المكـتـوب؟ إنـى لا أحـتـرمك بـعـد الـيـوم بل لا جـزاء لك عندى غـيـر الإهانة وسأشهر بك بين قومك وذويك . أأعطيك سلاحًا بيدى أقاتلك به؟ يا الله ... اخرج وفتش عن هذه المومس عساك أن تعثر عليها. أتريد أن تقف على مـا فى المكتـوب؟ أنا أريحك فـالأمـر سـهـل، الجـواب من عند حـبـيبتك جـميلة ... أمـا فـهـمت؟؟ أمـا باقى المكتـوب فلو أمـسكت الثريا بيمينك ما أطلعتك على حرف منه، وها أنا تَارِكَتُك.

خلفته جالسًا ودخلت وغلقت باب حجرتها على ابن أختها وأملَتْه مكتوبًا لجميلة ردًا لجوابها وأرسلته بعنوانها المسطَّر فى جوابها .

أصبح الصباح ولا يخفى على القارئ وَلَهُ جميلة برد جوابها فأرسلت الخادمة فجاءتها به وفتحته فرأت به .

إلى ... المخلصة جميلة .

اليوم وقع فى يدى خطاب منك لزوجي وحبيبك الذى قدمت له نفسك طائعة. واعلمى أنى لكما بالمرصاد ولا يمكنه طلاقى حتى يتزوج بك لأن العصمة بيدى. وإن شئت أن تكونى ضرتى فمرحباً بك واستعدى لما لا تحلم به عيناك من الرزايا وهذا آخر وأول إنذار .

ضرتك

فاطمة

قرأت المكتوب وندبت حظها وأسفت على ما فاتها وأيقنت أنها سَعَتْ إلى حتفها بظلفها. وبينما هى تفكر إذ دخلت زكية فأطلعتها على المكتوب وهدأت روعها. واتفقتا على أنهما تتقابلان مع جميل عند بيته فى الماوردى ليطلع على المكتوب ويحكم بما يراه . وقد وعدتها زكية خيراً وأعلمتها بأنها ستسعى فى طلاق امرأته وتزوجها به لأنها دبرت حيلة تخبرها بها بعد.

الفصل التاسع

أصبح يوم الجمعة وفيه يتم ميعاد زكية مع محمد عبده الذى أذاع الخبر بين ذويه وأخصائه .

خرج من داره وركب الترام وكان ركوبه وراء السائق بجوار فتاة رشيقة القد .

يوم الجمعة هذا لا ينسَ القارئ أنه اليوم الذى اطّلعت فيه زوجة جميل على خطاب جميلة وأرسلت الرد لها وقد اطلع عليه القارئ فى غير هذا المكان. وبعد أن ألقته فى البريد رأت أنها قبل عودتها تدبر مكيدة لزوجها الذى خانها وانكشف لها ستره ورأت أن أصعب ما تتحمله نفس الرجل خيانته كما أنها لا تتألم إلا من مشاركة غيرها لها فى زوجها.

ركبت الترام وراء السائق بجوار محمد عبده وسألته عن الساعة فأجابها بأنها الواحدة والنصف وكان بعض الجالسين يذكرون شيئًا من سير الرجال فقالت: رزقت بمن خانني بحب فتاة أغراها على زواجها منه وأغواها على طلاق خطيبها وقد نجح ولم أعلم بذلك إلا اليوم. وها هو الجواب الذى حضر له وضبطته وبه اكتُشف المستور.

وقدمته إلى محمد عبده فقرأه واندهش وقال:

- ويلاه! ممّن هذا الجواب؟

- من فتاة أخبرتك خبرها الآن.

- وما اسم خطيبها الذى طلقها؟

- انظره تره .

- هل تعرفين له ذاتًا؟

- ليتنى أعرفه فيساعدنى على إيقاع هذا الخائن فى مصيبة .

- أنا من يساعدك فتفضلى .

نزلا معًا من الترام وركبا عربة ثم استأذن منها أن تنتظره حتى يعود لأنه ذهب ليبر بوعده مع زكية وقد ظن أن هذه الفتاة محتالة. قضى أكثر من ساعة ولم تحضر تلك المحتالة فعاد وقال: اعلمى أنى ذلك المسكين الذى لعبت بعقله تلك الفتاة .

- يا للعجب! أنت صاحب القصة؟!

- نعم .

اعلم أننا إذا تكاتفنا نجحنا فى الموضوع ولحسن حظى عثرت بك ولحسن حظك فى منزلنا (دور فاضى) فإذا استأجرته سهل كل شىء.

سار معها إلى الدار واكترى الدور وسكن فيه وأخذ في تدبير المصيبة على شرط أن تتزوجه إذا طلقت من جميل ليكون الجزاء من جنس العمل .

الفصل العاشر

كيف حال جميل الآن وقد علم أنه لا موصل لحبل معرفته بحبيبته إلا أن يكثر الجلوس فى باب الخلق عساها أن تمر من أمامه يومًا ما.

تردد يومين، وفى الثالث كان خارجًا يقصد الترام فصادف جميلة وزكية فأركبهما عربة وقبل أن يستقر بهما القرار قالت جميلة:

– لقد جئتك لأطلعك على خطاب جعلنى مندفعة بعامل اليأس إلى هوة التعاسة، لقد سعيت بظلفى إلى حتفى. استخدمت هذه الأخت حتى نجحت فى حيلتها وطُلّقت من خطبى لعلمى أن لا يشاركنى فيك أحد، واليوم جاءنى هذا الجواب من زوجتك فوا خيبة المسعى! ومن سوء حظى أنها ادعت أن العصمة بيدها فكأنك غير قادر على الطلاق.

– كلا وإنما يمنعنى من طلاقها... لها دَيْن علىّ بغير أجل مسمى وأخشى أن تطلبه منى وأنا أريد دفع المهر لك (فأساس أمورى معها).

فقالت زكية:

– أتقبلان منى حديثًا ولو أنى أتطفل على مائدة محادثتكما؟

– تفضلى.

– إن من الهين جداً أن تتزوج بجميلة ولكن هذا لا يتم إلا بعد أسابيع طبعاً غير أننا نريد معاكسة تلك الشريرة ونحتال عليها في أن تترك لك ذلك الدَّين . حسن جداً والآن أرى أن أعلم المنزل لأبادر بقضاء هذه المهمة.

فأمرت زكية الحوذى بأن يعرج على الحلمية وهناك أرته المنزل من بعيد وعاد منفرداً بعد أن وعدته بالمقابلة غداً .

وفى الصباح قابلها فأعلمته بأنها ستسافر عند أختها بالمنصورة وتقضى هناك ثلاثة أيام وطلبت منه أن يرافقها فى السفر حيث تكون زكية معهما، فامتنع لأنه لا يليق به أن ينزل فى دار قوم لا يعرفهم، فعرفته بأنها وهو ينزلان فى فندق يختاره كما يشاء، فأجابها وقصد المحطة .

فى الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم اتفق محمد عبده مع زوجة جميل على تدبير مصيبة ، وكان الخادم سامعاً حديثهما فخرج يفتش على سيده. ومن محاسن الصدف صادفه فى عربة قاصداً المحطة فاستوقفه وأخبره بما سمع ، فأخبر جميلة فقالت: لا بأس من أن نتأخر عن السفر على شرط أن تختفى فى فندق كذا حتى أعود.

وسافرت ومعها خادمها فقط وكان ذلك فى الساعة الثانية عشرة.

رجع جميل واختفى كما أمرته وعاد الخادم إلى الدار فى الساعة الثانية فرأى البيت غاصًا بجماهير الناس ومحمد عبده مضرجًا بدمائه وامرأة جميل يحقق معها وكيل النيابة وهى تقول:

– لما جلس زوجى مع ضيفه هذا الجريح أخذا يتحاسبان فى أشياء أعلمها وبعد برهة علا الضجيج وإذا بزوجى خرج مسرعًا وبعد يسير سمعت هذا الفتى ينادى مستصرخًا وخر على الأرض صريعًا فذهبت إليه وسألته عما أصابه فأجاب بأن زوجى طعنه بمدية وفر هاربا فأرسلت أحد المارة وجاء بجندى الدورية الذى أحضركم، وهذه صورته الفوتوغرافية ليسهل عليكم القبض عليه ونقل الجريح إلى المستشفى.

عاد الخادم إلى سيده وقال له:

– تأكد يا مولاى من أن التهمة ثابتة عليك لا محالة وأن البوليس السرى يجدُّ فى البحث عنك وقد أعطتهم صورتك الفوتوغرافية وسأتركك الآن وآتيك بكل ما يكون.

عادت جميلة من سفرها وقصدت الفندق وسألت جميلاً عما تم فأخبرها الخبر، فعرَّفته بأنه يظهر ويدع البوليس يقبض عليه وعرفته بأنها سافرت إلى المنصورة وأسمت خادمها باسمه وقد قُيِّد فى الدفتر وأعطته نمرة جوائز السفر وأعلمته بأنها تداوت من عند طبيب باسمه وادعت أن الخادم أخوها.

خرج جميل وما كاد يظهر حتى ألقى القبض عليه وسيق إلى السجن مكبَّلاً بالأغلال. سئل عن الجناية فأنكر واستشهد بدفتر الفندق فحضره المحقق واطلع على نمر جوائز السفر فثبت أن سفره كان ظهراً والحادثة جرت بعد الساعة الواحده بعد الظهر فأطلق سراحه. أما الجريح فلم يعترف بأن أحداً ضربه غيره وقد توسط من توسط حتى حُفظت الدعوى .

أما جميل فقد ذهب إلى داره فوجد تلك الفاجرة حررت له وثيقة الطلاق وذهبت إلى محمد عبده الذى جعل نفسه طعمة لمآربها الشيطانية وعرضت نفسها عليه زوجة فأبى زواجها واستنكف أن يكون لها بعلاً مستدلاً بأنها خانت زوجها فلا يبعد أن تخونه ولم يحسن فى عمل غير هذا.

أما جميل فقد سعى فى زواج جميلة وهدأ روعه. وصفا له الزمان. وقد رأت أن مكرمتها التى خلصته بها فَعَلَتْها فى نظير مكرمته التى قدمها لها يوم أن خلصها من القسم، وعلى ذلك انتهت الرواية وعاش الحبيبان فى هناء وصفاء ووئام وسلام.

استلفات: كل قارئ يسره موضوع زكية وقد جرت لها حادثة ستظهر فى الحلقة الثانية عنوانها (الغرام الفطرى).

المراجعة اللغوية: محمود عبد الرازق
الإشراف الفني: هشام نوار

وصف الشيخ يونس روايته بأنها غرامية أدبية تاريخية عصرية واقعية وتقع فى فصول عشرة، والحقيقة أن هذه الرواية لا علاقة لها بالتاريخ، وتتبدى قيمتها باعتبارها من بواكير الإبداع الروائى الذى يمكن من خلاله رصد جملة من الالتباسات المتعلقة بمفهوم الرواية وخطاباتها، وطرف من المنظومة القيمية السائدة فى ذاك العصر الذى كُتبت فيه، فالرواية تعتمد على الحوارات المطوّلة، والمواقف الانقلابية المفاجئة، لأحداثها الواهية القائمة على جملة من المصادفات، وهى تعتمد بنية سردية أقرب إلى الكتابة المسرحية منه [إلى] السرد الروائى.



** تراث الرواية العربية ***